الفصل السابع

أهم الدول المستقلة عن الخلافة الإسلامية

كما رأينا في الفصل السابق ؛ **أن الاضمحلال والشيخوخة بدأت تضرب بأطنابها في الخلافة الإسلامية اعتبارا من العصر العباسي الثاني** . وهنا بدأت الرغبة عند بعض الدول في الاستقلال عن الخلافة الإسلامية .. فظهرت بعض الدويلات التي ظلت على صلة متغيرة بالخلافة ، تقوى حينا وتضعف حينا أخر تبعًا لتغير الأحوال . كما اتجهت بعض الدول الأخرى نحو الاستقلال الجزئى ، بحيث تصبح تابعة للخلافة اسمًا فقط ، وفيها يكتفى بأن يذكر اسم الخليفة على المنابر ، ويصك اسمه على العملة ، بينما فى حقيقة الأمر أن الدولة لا تخضع له فى شيء . كما استقلت بعض الدول الأخرى عن الخلافة استقلالا تاما بل ونافستها فيها .

وفي هذا الفصل سوف نعرض **لأهم الدول المستقلة عن الخلافة الإسلامية** (أنظر الملحق الرابع لرؤية / موسع الدول المستقلة) .. والتي وصلت الرغبة الجارفة للحصول على الملك عند مؤسسيها إلى الحد الذي دفع بالأبطال الشعبيين إلى الغدر والقتل والخيانة معا ..!!! فعلى سبيل المثال ؛ عندما واجه المصريون جحافل التتار كان على رأس جيوش مصر : السلطان **سيف الدين قطز** (ثالث ملوك المماليك في مصر) والى جواره رئيس عساكره (جيشه) : " **الظاهر بيبرس** " . وعقب انتصار سيف الدين قطز على جحافل التتار في موقعة **عين جالوت** .. قام بمطاردة فلولهم الهاربة إلى " منطقة بيسان " حيث ظفر بهم وانتصر عليهم وقضى عليهم قضاءً مبرمًا . وفي أثناء عودته إلى مصر تآمر عليه رئيس عساكره " **الظاهر بيبرس** " مع بعض أمراء الجيش ، وقـام بقتله واستولى على حكم مصر والشام ولقب نفسه باسم " **الملك الظافر** " ..!!! وصدقت يا رسول الله ــ صلى الله عليك وسلم ــ حين قلت لأمتك (متفق عليه) :

[إِنَّكُمْ سَتحْرِصُون على الْإمارة وإنَّها ستكُونُ نَدامَةً وحسْرةً يوْمَ الْقيامة ..]

وفيما يلى نذكر أهم هذه الدول والإمـــارات الإسلامية (أنظر الملحق الرابع للعرض الموسع للدول المستقلة) ، والتى استقلت عن دولة الخلافة العباسية ..

أولا : الدول فى مصر والشام :

١. الدولة الطولونية .
٢. الدولة الإخشيدية .
٣. الدولة الحمدانية .
٤. الدولة الفاطمية .
٥. دولة آل زنكي .
٦. الدولة الأيوبية .
٧. الدولة المملوكية .

ثانيًا : الدول فى بلاد المغرب :

١. الدولة الرستمية .
٢. دولة الأدارسة .
٣. دولة الأغالبة .

ثالثًا : الدول فى بلاد الشرق :

١. الدولة الطاهرية .
٢. الدولة الصفارية .
٣. الدولة السامانية .
٤. الدولة الغزنوية .
٥. الدولة البويهية .
٦. دولة السلاجقة .

رابعا : الإمارة الأموية فى الأندلس .

وفيما يلي نعرض بالتفصيل لهذه الدول السابقة ..

أولا : الدول فى مصر والشام

(١) الدولة الطولونية (٢٥٤ – ٢٩٢ هـ / ٨٦٨ ــ ٩٠٥ م)

تكونت الــدولة الطولونية في مصر في الفترة (٢٥٤ – ٢٩٢ هـ) / (٨٦٨ – ٩٠٥ م) أي أن الدولة استمرت حوالي ٣٧ سنة فقط . وتمثل تجربة الطولونيين أول حكم محلي تحكم فيه أسرة أو دولة حكما مستقلا عن حكومة الخلافة الإسلامية المركزية (والاحتفاظ بالتبعية الاسمية فقط للخلافة العباسية) . وقد كان مؤسس هذه الأسرة هو **احمد بن طولون** جنديا تركيا (ولفظ : طولون تحريف لكلمة دولوں ، وتعني بدر التمام) ووالده كان أحد الموالي الذين أهداهم ملك بخارى للخليفة العباسي المأمون ، وقد جاء إلى مصر نائبا للحاكم العباسي فيها ، لكنه استأثر بالحكم ، ثم بسط سلطانه على الشام ، وكان العباسيون مشغولين ــ في تلك الفترة ــ بمقاومــة ثورة الزنج (أنظر الملحق الثاني)

وبعد وفاة أحمد بن طولون سنة ٢٧٠ هـ ، جاء من بعده ابنه **خمارويه الذي زوج ابنته " قطر الندى " إلى الخليفة العباسي المعتضد** فعقد معه **الخليفة (العباسي)** اتفاقا يقضي بمنحه هو وورثته الحكم في مصر والشام لمدة ثلاثين عاما على ان يؤدي للخليفة جعلا سنويا مقداره ثلاثمائة ألف دينار . وانفق خمارويه على زواج ابنته من الخليفة العباسي ببذخ وإسراف أدى إلى ضعف الحالة الاقتصادية في مصر والشام ..!!! وبعد اغتيال خمارويه سنة ٢٨٢ هـ جاء من بعده ابنه " **أبي العساكر جيش** الذي ثار عليه الناس وسجنوه حتى مات .. وجاء من بعده أخوه **هارون بن خمارويه** وكان صغير السن وكان اخر حكام الدولة الطولونية . ففي سنة ٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م رأت الخلافة العباسية إنهاء الدولة الطولونية فأرسلت إليها جيشا ــ بقيادة محمد بن سليمان ــ فهزم الجيش المصري وفر هارون إلى العباسة حيث قتله عمه شيبان لينهي بذلك حكم الدولة الطولونية وعودة مصر والشام للخلافة العباسية مباشرة .

(٢) الدولة الإخشيدية (٣٢٣ – ٣٥٨ هـ / ٩٣٦ ــ ٩٦٩ م)

تكونت الــدولة الإخشيدية في مصر في الفترة (٣٢٣ – ٣٥٨ هـ) / (٩٣٦ – ٩٦٩ م) أي ان الدولة استمرت حوالي ٣٣ سنة فقط .. ومؤسس هذه الدولة هو **محمد بن طغج** وهو ينحدر من أسرة عسكرية تركية عملت في خدمة العباسيين ، وقد عينه الخليفة العباسي

الراضي حاكما على مصر ، ولقب بـــ " الإخشيد " ويعني هذا اللقب الأمير أو الحاكم .. وكان يحمل هذا اللقب الحكام الإيرانيون المحليون ، واستقل محمد بن طغج بالحكم وبسط سلطانه على أجزاء كثيرة من الشام ، وولي الأمر بعده ابنه " عليّ " .. **وكان أنوجور بيد الوصي عليه كافور الذي كان عبدا لدى الإخشيد (ولقب بكافور الإخشيدي) ، وبعد وفاة عليّ صار كافور هو الحاكم الرسمي** ، ثم أعيد الحكم بعد كافور إلى أحد أحفاد محمد بن طغج ، لكنه كان حاكما ضعيفا وكان آخر حاكم إخشيدي . وبعد موت الإخشيد **دخل مصر جوهر الصقلي سنة ٣٥٨ هـ وقضى على الدولة الإخشيدية حيث بدأت حقبة الدولة الفاطمية فيها .**

(٣) الدولة الحمدانية (٣١٧-٣٩٩هـ / ٩٢٩-١٠٠٩م)

ينحدر الحمدانيون من بني تغلب .. وهم من أصل عربي ، وكانت مواطنهم في الجزيرة وديار ربيعة . وما زالوا يتنقلون بماشيتهم وأموالهم وخيامهم على مثل حالة القبائل العربية من تهامة إلى نجد إلى الحجاز إلى أرض ربيعة إلى ضفاف الفرات حيث نزلوا ساحل " الرقّة " الفسيح ، ومنها انتقل حمدان بن حمدون إلى " الموصل " .

وقد بدأ ظهور الأسرة الحمدانية عند ارتقاء الخليفة " المتقي "عرش الخلافة ، التي تسلمها وهي على ما هي عليه من التفكك والانحلال ، على يد الأتراك أصحاب وظيفة " أمير الأمراء " في بغداد حيث استبد أولئك الأمراء بالسلطة دون الخليفة العباسي ، وراحت بعض القبائل العربية التي سكنت بادية الشام ووادي الفرات تستغل ضعف الخلافة العباسية ، وتستقل بالمدن والقلاع الواقعة في أرضها .

وقد استطاعت " قبيلة تغلب " بفضل أبناء زعيمها "حمدان بن حمدون " أن تؤسس دولة في شمال العراق ، وأن تتخذ من مدينة " الموصل " عاصمة لها في الفترة (٣١٧-٣٥٨ هـ / ٩٢٩-٩٦٩ م) . وتعصبت الدولة الحمدانية للعروبة ، وساءها استبداد الأتراك بالخلافة العباسية فجاء زعيمها " الحسن بن عبد الله الحمداني " إلى بغداد ، ومعه أخوه لمناصرة **الخليفة المتقي بالله** سنة ٣٣٠هـ/ ٩٤٢م . وكافأ الخليفة هذا الزعيم الحمداني بأن عينه في وظيفة " أمير الأمراء " ومنحه لقب " ناصر الدولة " ، كما منح أخاه لقب " **سيف الدولة الحمداني** " .

استطاع الأتراك بعد ذلك ـــ بزعامة قائدهم " توزون " ـــ أن يطردوا الحمدانيين من بغداد وأن يحملوهم على العودة إلى الموصل سنة ٣٢١هـ/ ٩٣٣ م . فتطلع **سيف الدولة** بعد خروج

الحمدانيين من بغداد إلى القيام بمغامرة حربية تعلي من شأن دولته بالموصل فسار سنة ٣٢٣هـ/ ٩٣٥م إلى شمال الشام واستولى على " **حلب** " واتخذها عاصمة له ، وأخرج منها حاكمها التابع للدولة الإخشيدية صاحبة السيادة حين ذاك على مصر والشام . وكانت هذه النزاعات بين أقاليم الأمة المسلمة الواحدة وراء التعجيل بنهاية هذه الدولة الحمدانية ..!!!

وأصبح سيف الدولة بذلك صاحب الدولة الحمدانية وعاصمتها حلب التي استمرت في شمال الشام حتي سنة ٣٩٩هـ/ ١٠٠٩ م . وكان قيام الدولة الحمدانية على طول منطقة الأطراف الإسلامية المتاخمة لأراضي الدولة البيزنطية في جنوب آسيا الصغرى وفي شمال العراق حاجزًا ضد هجمات البيزنطيين في وقت أضحت الدولة الإسلامية نهبًا للفوضى والقلاقل الداخلية ، وليس لديها قوة حربية كافية للدفاع عن نفسها ..!!! ولقد خلد التاريخ اسم " سيف الدولة " من خلال حروبه المتكررة ضد البيزنطيين ، والتصدي لأعمالهم العدائية على أرض المسلمين .

وبعد وفاة " سيف الدولة " تولى من بعده ابنه " **سعد الدولة** " سنة (٣٥٧- ٣٨١هـ/ ٩٦٧ - ٩٩١م) ، لكن الدولة دخلت في مرحلة الضعف والنزاع الداخلي ، وذلك بعد أن اعتراف منصور بن لؤلؤة والي الحمدانيين على حلب بسلطان الفاطميين على حلب عام ٣٨٣هـ وأصبحت إمارة فاطمية بعد أن كانت حارسة على أطراف الدولة الإسلامية في وقت لم يدرك الخلفاء العباسيون في بغداد قيمة الدفاع عنها . ولجأ بعض المتنازعين على السلطة من الحمدانيين إلى الخلافة القائمة في مصر والشام وقت ذاك على حين ظلت الخلافة العباسية غارقة في الفوضى والضعف . ورغم كل ذلك سقطت الدولة الحمدانية التي تمثلت كل عظمتها في شخص " سيف الدولة " .

(٤) الدولة الفاطمية (أو الدولة العبيدية) (٢٩٧ – ٥٦٧ هـ / ٩٠٩ ــ ١١٧١ م)

تأسست الدولة الفاطمية (أو الدولة العبيدية) في شمال أفريقيا – تونس والجزائر وبعض المغرب – حيث نشطت هناك الدعوة الشيعية حتى تمكن مؤسسها **عبيد الله المهدي** (أول من نادى بالخلافة الإسلامية من المغرب) من الاستيلاء على مناطق واسعة في تونس أسس عليها دولة في القيروان ، **واتخذ من رقادة عاصمة له** .. ثم بدأ يزحف إلى باقي الشمال الأفريقي وكانت الدول التي تحكمه (الأغــالبة بتونس ، والأدارسة بالمغرب ، والدولة الرستمية

بالجزائر) في حالة ضعف وفي طريقها إلى الأفول ؛ فحلت الدولة الفاطمية محلها .. واستمرت الدولة الفاطمية في الفترة من عام ٩١٠ م إلى عام ١١٧٢ م (أي حوالي ٢٦٢ سنة) ، إلى أن انتهت على يد السلطان **صلاح الدين الأيوبي** .

وكما ذكر ؛ كانت تعرف هذه الدولة في بدايتها بالدولة العُبيدية نسبة إلى مؤسسها عُبيد الله المهدي ، ثم عرفت بعد ذلك باسم " **الدولة الفاطمية** " **وخاصة بعد انتقال عاصمة الدولة من المغرب إلى مصر** . واختلف المؤرخون في نسب العُبيديين ، فبعض المؤرخين ينسبهم إلى السيدة فاطمة الزهراء – رضي الله عنها – ومن هنا جاءت تسمية الفاطمية . وكثير من المؤرخين ينسب عبيد الله المهدي مؤسس الدولة إلى أصول يهودية ، ومن أدلتهم في ذلك أن عبيد الله المهدي ولد يهوديا من أم وأب يهوديين (وكان اسمه سعيد) ثم تزوجت أمه بعد وفاة زوجها من **الحسين بن عبد الله** الذي احتضن الولد ورباه وعلمه الدعوة الشيعية ، ثم كبر " سعيد " وجعل لنفسه نسبا علـــويًا وتسمى باسم عبيد الله المهدي .

و" العبيديون" هم من **متطرفي الشيعة** ويمثلون الحركة الإسماعيلية الذين انحرفوا فكريًا وعقائديًا ونشروا في البلاد التي حكموها كثيرًا من البدع والخرافات . وقد انقسم الفاطميون إلى طائفتين ، هما الحشاشون النزاريون (نسبة إلى **نزار بن الحاكم بأمر الله** ، أحد أهم القادة الفاطميين) ومنهم القرامطة (أنظر الملحق الثاني) والإسماعيليون اتباع **المستعلي بن الحاكم بأمر الله** . وكان الحكام في الدولة الفاطمية كثيرًا ما يقربون اليهود والنصارى ، ويثقون فيهم ثقة كبيرة ، ويولونهم المناصب الكبيرة في الدولة وخاصة في عهد العزيز بالله .

وفي سنة ٣٥٨ هـــ / ٩٦٩ م استطاع **القائد الفاطمي جوهر الصقلي** أن يحتل مصر وأطاح بآخر حاكم إخشيدي .. وبدأ في بناء مدينة المنصورية (القاهرة فيما بعد) سنة (٣٥٨ هـــ) ولما نزلها **المعز لدين الله** في سنة (٣٦٢ هـــ) أطلق عليها اسم " **قاهرة المعز** " . ثم أنشأ جوهـــر الصقلي الجامع الأزهـــر في القاهرة وبدأت أول صلاة فيه يوم السابع من رمضان سنة (٣٦١ هـــ / ٩٧٢ م) . وقد اهتم العبيديون كثيرًا بالبناء والعمران ، فبعد تأسيس القاهرة أحاطها جوهر الصقلي بسور كبير ، وجاء من بعده الوزير بدر الجمالي وبنى سورا اخر خارج السور الأول وجعل عليه ثلاثة أبواب هي : باب الفتوح ، وباب النصر ، وباب زويلة (وجميعها من معالم القاهرة القديمة في الوقت الحالي) .

وفي سنة (٣٦٥هـ) توفي المعز لدين الله ، وخلفه ابنه نزار أبو منصور الملقب باسم : " **العزيز بالله** " . وفي عهده اتسعت رقعة الدولة الفاطمية (العبيدية) بعد أن استولى العزيز بالله على الشام وحاصر مكة ثم تمكن من دخولها وأخضع الحجاز لسلطانه ، ولعل انشغال العزيز بهذه التوسعات هو الذي جعله يترك إدارة الحكم في مصر لعدد من الوزراء اليهود والنصارى ، وقيل إنه كان يثق فيهم أكثر من ثقته في أهل السنة من المسلمين ، كما أنه تزوج من امرأتين نصرانيتين .

وفي سنة (٣٨٧ هـ) توفي العزيز بالله وولي بعده ابنه أبو علي منصور ، والذي تلقب باسم " **الحاكم بأمر الله** " إلى أن قتل في سنة (٤١١ هـ) . ثم تولى الحكم من بعده ابنه الظاهر بن الحاكم في الفترة من (٤١١ هـ - ٤٢٧ هـ) وكان صغير السن فقامت عمته " **ست المُلك** " بإدارة شئون البلاد . وبعد وفاة الظاهر انتقلت السلطة الحقيقية من أيدي الحكام إلى أيدي الوزراء ، وبدأت تهب الفتن والاضطرابات على كل أنحاء الدولة ، وبدأت الدولة الفاطمية تضعف وخاصة بعد ظهور دولة المرابطين في الأندلس التي بدأت تتوسع في أملاك الدولة الفاطمية بالمغرب .

جدول يبين سلسلة الحكام الفاطميين

مسلسل	الحاكم	مدة الحكم
١	عبيد الله المهدي	٢٩٧هـ/٩٠٩م
٢	القائم	٣٢٢هـ/٩٣٤م
٣	المنصور	٣٣٤هـ/٩٣٤م
٤	**المعز لدين الله (بنى القاهرة)**	**٣٤١هـ/٩٥٣م**
٥	العزيز بالله	٣٦٥هـ/٩٧٥م
٦	الحاكم بأمر الله	٣٨٦هـ/٩٩٦م
٧	الظاهر	٤١١هـ/١٠٢١م
٨	المستنصر	٤٢٧هـ/١٠٣٦م
٩	المستعلي	٤٨٧هـ/١٠٩٤م
١٠	الأمر	٤٩٥هـ/١١٠١م
١١	الحافظ	٥٢٤هـ/١١٣٠م
١٢	الظافر	٥٤٤هـ/١١٤٩م
١٣	الفائز	٥٤٩هـ/١١٥٤م
١٤	العاضد	٥٥٥-٥٦٧هـ/١١٦٠-١١٧٢م

وفي سنة (٤٦٦ هـ) وفي عهد المستنصر بدأ ينحسر ملك الفاطميين (العبيديين) تدريجيًا فانسحبوا من الشام والحجاز وزال سلطانهم عن المغرب التي استولى عليها المرابطون في الأندلس . وفي سنة (٥٦٢ هـ) اتجه الصليبيون نحو مصر وطلب الفاطميون (العبيديون) النجدة من السلطان **نور الدين محمود بن زنكي** (والي الشام) فأرسل إليهم جيشًا بقيادة أسد الدين شيركوه **وصلاح الدين الأيوبي** (١١٣٧ – ١١٩٣) ، وتمكن أسد الدين من دخول الإسكندرية وترك بها حامية بقيادة صلاح الدين ، فلما حاصر الصليبيون الإسكندرية وطال الحصار ، عاد إليها أسد الدين وتصالح معهم على أن ينسحب الطرفان من مصر ، وتم ذلك .

وفي سنة (٥٦٤ هـ) عاود الصليبيون الهجوم على مصر فعاد أسد الدين ، وصلاح الدين مرة أخرى وهزموا الصليبيين ودخلوا القاهرة ، ثم قام صلاح الدين بقتل الوزير الفاطمي الخائن **شاور** وتولى أسد الدين شيركوه الوزارة . **وفي سنة (٥٦٥ هـ) توفي أسد الدين** شيركوه وولي الوزارة صلاح الدين الأيوبي الذي عمل على توطيد حكمه والقضاء على الدولة الفاطمية شيئا فشيئا حتى سقطت الدولة الفاطمية بوفاة آخر خلفائها العاضد سنة (٥٦٧ هـ) ، (أنظر الجدول السابق) ، وبدأ عصر الدولة الأيوبية في مصر والشام ، بعد دولة آل زنكي .

(٥) دولة آل زنكي (٥٢١ ـ ٥٧٦ هـ / ١١٢٨ ـ ١١٨١ م)

الزنكيون ، بنو زنكي : سلالة تركية في شمال سوريا و العراق حكمت مابين ١١٢٨–١١٨١ م (في الموصل حتى عام ١٢٦٢ م) . مؤسس هذه السلالة **آقسنقر** ، وكان من جنود المماليك السلاجقة ، ثم أصبح اتابكا ــ أي قائد عسكري ــ على حلب من قبل القائد السلجوقي **تتش** . ثم تولى ابنه **عماد الدين زنكي** (١١٢٨ – ١١٤٦ م) الإمارة على العراق ، وتمكن بعدها من غزو الموصل وحلب في (١١٢٨ م) ومدن أخرى في الشام . وبفضل سياسته الحكيمة وحملاته الناجحة ضد الإمارات الصليبية في الشام ، استطاع أن يحكم قبضته على كامل العراق **وأجزاء مهمة من الشام . ثم خلفه ابنه نور الدين محمود بن زنكي (١١٤٦ – ١١٧٤ م) في بلاد الشام . حيث تمكن نور الدين من الاستيلاء على دمشق عام (١١٥٤ م)** وبعد وفاة اخيه سيف الدين (١١٤٦ – ١١٤٩ م) ضم نور الدين بلاد العراق إلى دولته ثم اتخذ من الموصل عاصمة له (استمر هذا الفرع في الحكم حتى ١٢٦٢ م) .

قاد **نور الدين زنكي** دولة بني زنكي إلى أوجها .. وتمكن من أن يمد حدوده حتى مصر ،

حيث قضى قائده **صلاح الدين الأيوبي** (١١٣٧ – ١١٩٣م) على الخلافة الفاطمية فيها . وفي سنة (٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م) توفي نور الدين محمود وخلفه ابنه **الملك الصالح إسماعيل** . وبوفاة نور الدين بدأت دولة آل زنكي بالأفول شيئا فشيئا ، بسبب فساد ابنه إسماعيل وبدأت أملاك الدولة تتوزع على أمراء آل زنكي ، وهنا قام صلاح الدين بالاستيلاء على هذه الأملاك ، وأنهى حكم إسماعيل بن نور الدين زنكي في حلب ، معلنا ظهور نجم الأيوبيين بعد أن كان هؤلاء في خدمة الزنكيين لسنوات طويلة . وسقطت دولة آل زنكي سنة ٥٧٦ هـ وحلت محلها الدولة الأيوبية (٥٦٤–٦٤٨ هـ) وسلطانها صلاح الدين الأيوبي .. الذي أكمل مسيرة الجهاد ضد الصليبيين .

(٦) الدولة الأيوبية (٥٦٤ – ٦٤٨ هـ / ١١٦٩ - ١٢٥١ م) :

قامت هذه الدولة في مصر في الفترة (٥٦٤ – ٦٤٨ هـ) / (١١٦٩ – ١٢٥١ م) واستمرت حوالي اثنين وثمانين سنة تعاقب عليها أربع ملوك هم : صلاح الدين الأيوبي / ثم أخيه الملك العادل / الذي ورث الحكم لابنه الملك الكامل / ثم إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل . وتنسب الأسرة الأيوبية إلى أصل كردي ، حيث كانوا يعيشون في بلدة " دوين " من **بلاد أذربيجان** ، وكان " شاذي " وهو جد الأيوبين على صلة بـ " بهروز " حاكم بغداد من قبل **السلاجقة** . وقد استدعى " بهروز " شاذي وأسرته (التي تتكون من ولديه نجم الدين أيوب – والد صلاح الدين – وشيركوه) إلى بغداد وأقطعهم مدينة " تكريت " بالعراق . وبعد فترة توفي شاذي وتولى مكانه ابنه الأكبر نجم الدين أيوب الذي تنسب إليه الأسرة الأيوبية وفي تكريت ولد صلاح الدين الأيوبي (١١٣٧ – ١١٩٣م) المؤسس للدولة الأيوبية بعد ذلك .

انتقل نجم الدين أيوب بن شاذي بأسرته من تكريت إلى الموصل ، ثم عمل مع آل زنكي في الشام ، وأصبح الأيوبيون من خيرة القواد في جيش " عماد الدين زنكي " ومن بعده نور الدين محمود بن زنكي . وأراد نور الدين محمود أن يستولي على مصر بهدف صد خطر الصليبيين من ناحية ، ومن ناحية أخرى القضاء على الدولة الفاطمية الشيعية ونشر المذهب السني ، فأرسل لها أسد الدين شيركوه وصلاح الدين الأيوبي اللذين تمكنا من الانتصار على الصليبيين ودخول مصر بعد عدة محاولات ، وأصبح أسد الدين شيركوه وزيرا للدولة الفاطمية ولما توفي تولى مكانه ابن اخيه **صلاح الدين الأيوبي** الذي واصل تدعيم سلطانه بأن أحضر أسرته من الشام ، وبدأ في تقليدهم المناصب الهامة والرئيسية في الدولة .

وكان من أبرز إنجازات صلاح الدين في مصر القضاء على المذهب الشيعي ، ونشر المذهب السُّنِّي، ورفع المظالم ، وتخفيف الضرائب والمكوس ، وسار في الناس سيرة حسنة ، هذا إلى جانب أخلاقه الإسلامية التي بهرت الجميع بما فيهم الصليبيون أنفسهم وهم ألد أعدائه . ومن أهم اثار صلاح الدين القلعة التي بناها في مصر والتي جرت عليها كثير من التغييرات فيما بعد . ومن أهم الأحداث في تاريخ الدولة الأيوبية الانتصار الكبير الذي حققه الأيوبيون ــ بفضل الله تعالى ــ على الصليبيين في معركة حطين سنة (٥٨٣ هـ) ، ثم دخول بيت المقدس وتحرير المسجد الأقصى ، والتي تعتبر من أهم الأحداث في التاريخ الإسلامي كله . وقد أعطى صلاح الدين الأيوبي للصليبيين درسًا كبيرًا في الأخلاق والصدق والتسامح الديني ؛ مما جعلهم ينبهرون بهذه الشخصية الإسلامية من خلال عشرات المواقف التي تجسدت على أرض الواقع ، وتعجبوا أن تكون هذه من أخلاق الملوك والسلاطين .

وتعتبر أزهى فترات الدولة الأيوبية هي فترة حكم صلاح الدين ، وبعد وفاته سنة ٥٨٩ هـ (١١٩٣ م) بدأت الدولة تضعف وتسير في طريق الانهيار والأفول . **فتوزعت المملكة بين أفراد أسرته** ، ودبت الخلافات بين الأمراء الأيوبيين ، وتوافقت هذه الخلافات مع حملة صليبية بقيادة ملك فرنسا لويس التاسع ، وكان **الملك الصالح نجم الدين أيوب (ابن الملك الكامل)** آخر ملك أيوبي يحتضر ، ومات في أثناء المعركة ، فأخذ القادة المماليك زمام المبادرة بالتنسيق مع **شجرة الدر** زوجة الملك الصالح ، وبهذا بدأت دولة المماليك في الظهور .. لتترك دولة الأيوبيين ..

١. سلاطين الأيوبيين في مصر

تسلسل	السلاطين	مدة الحكم
١	**الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي.**	**٥٦٤ هـ / ١١٦٩ م**
٢	الملك العزيز عماد الدين.	٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م
٣	الملك المنصور ناصر الدين.	٥٩٥هـ / ١١٩٨ م
٤	الملك العادل الأول سيف الدين.	٥٩٦ هـ / ١٢٠٠ م
٥	**الملك الكامل الأول ناصر الدين.**	**٦١٥ هـ / ١٢١٨ م**
٦	الملك العادل الثاني سيف الدين	٦٣٥ هـ / ١٢٣٨ م
٧	**الملك الصالح نجم الدين أيوب**	**٦٣٧ هـ /١٢٤٠ م**
٨	الملك المعظم توران شاه	٦٤٧ هـ /١٢٤٩ م
٩	الملك الأشرف الثاني مظفر الدين	٦٤٨-٦٥٠هـ/١٢٥٠-١٢٥٢م

٢. سلاطين الأيوبيين في دمشق

١٠	الملك العادل الأول سيف الدين.	٥٩٢ هـ/١١٩٦م
١١	الملك الأفضل نور الدين علي.	٥٨٢ هـ/١١٨٦م
١٢	الملك المعظم شرف الدين.	٦١٥ هـ/١٢١٨م
١٣	الملك الناصر صلاح الدين داود.	٦٢٤ هـ/١٢٢٧م
١٤	الملك الأشرف الأول مظفر الدين.	٦٢٦ هـ/١٢٢٩م
١٥	الملك الصالح عماد الدين ، للمرة الأولى.	٦٣٤ هـ/١٢٣٧م
١٦	الملك الكامل الأول ناصر الدين.	٦٣٥ هـ/١٢٣٨م
١٧	الملك العادل الثاني سيف الدين.	٦٣٥ هـ/١٢٣٨م
١٨	الملك الصالح نجم الدين أيوب ، للمرة الأولى.	٦٣٦ هـ/١٢٣٩م
١٩	الملك الصالح عماد الدين ، للمرة الثانية.	٦٣٧ هـ/١٢٣٩م
٢٠	الملك الصالح نجم الدين أيوب، للمرة الثانية.	٦٤٣ هـ/١٢٤٥م
٢١	الملك المعظم توران شاه (بالإضافة إلى مصر).	٦٤٧ هـ/١٢٤٩م
٢٢	الملك الناصر الثاني صلاح الدين.	٦٤٨-٦٥٨هـ/١٢٥٠-١٢٦٠م

٣. سلاطين الأيوبيين في حلب

٢٣	الملك العادل الأول سيف الدين.	٥٧٩ هـ /١١٨٣ م
٢٤	الملك الظاهر غياث الدين.	٥٨٢ هـ / ١١٨٦ م
٢٥	الملك العزيز غياث الدين.	٦١٣ هـ / ١٢١٦ م
٢٦	الملك الناصر الثاني صلاح الدين.	٦٣٤-٦٥٨هـ/١٢٣٧-١٢٦٠م

(٧) الدولة المملوكية (٦٥٦ ـ ٩٢٣ هـ / ١٢٥٨ ـ ١٥١٧ م)

- أنظر الفصل التاسع .

* * * * * * * * * * * * * * *

ثانيا : الدول فى بلاد المغرب :

(١) الدولة الرستمية (١٦٠ – ٢٩٦ هـ / ٧٧٧ - ٩٠٩ م) :

قامت الدولة الرستمية فى المغرب الأوسط ، وتنسب إلى مؤسسها " **عبد الرحمن بن رستم** " زعيم الخوارج الإباضية [١] ومقرها تاهرت (أو تيهرت) وكان الخوارج قد فروا فى مرحلة مبكرة من حكم الأمويين بدمشق والشام إلى المغرب . وحاول الخوارج نشر مبادئهم هناك ، وكانت الدولة العباسية كالدولة الأموية تحاول القضاء على الخوارج بسبب أفكارهم ومعتقداتهم الغريبة ، واستقر عبد الرحمن بن رستم فى إقليم " تاهرت " بالمغرب الأوسط ، وقام بنشر مذهبه هناك حتى بويع بالإمامة سنة ١٦٠هـ/٧٧٧ م ، فأعلن قيام دولته التى صارت ملجأ لإباضية العراق وفارس (إيران) وغيرهما .

وقد نجح عبد الرحمن بن رستم فى توطيد دعائم دولته خلال فترة حكمه (١٤٤ – ١٦٨هـ) وخلف من بعده ابنه " عبد الوهاب " الذى بقى فى حكم الدولة الرستمية عشرين سنة . ثم جاء من بعده ابنه : " أفلح بن عبد الوهاب " الذى حكم أكثر من خمسين عامًا (١٨٨ – ٢٣٨هـ) ثم تتابع فى حكم الدولة الرستمية خمسة من الأمراء .. هم : أبوبكر بن أفلح ، وأبو اليقظان ، فأبو حاتم ، فيعقوب ابن أفلح ، فاليقظان ابن أبى اليقظان آخر أمرائهم . وظل أتباع هذه الدولة يتصارعون ويختلفون حتى انقرضت الدولة الرستمية عام ٢٩٦هـ/ ٩٠٩م ، **فى عهد اليقظان ابن أبى اليقظان على يد داعى الفاطميين أبى عبد الله الشيعي .**

(٢) دولة الأدارسة (١٧٢ – ٣٦٤ هـ / ٧٨٩ - ٩٧٥ م) :

ظل العلويون (أحفاد عليّ بن أبي طالب ﷺ) يشعلون نار الفتن والثورات طوال فترة الخلافة العباسية ، وعقب قيام إحدى هذه الثورات – في الحجاز – في عهد " الخليفة الهادى " وبعد أن تم القضاء عليها في موقعة " فخ " ، هرب بعض قادة هذه الثورة من أيدى العباسيين إلى أماكن بعيدة جدا عن أيديهم .. ومنهم : " **إدريس بن عبد الله بن الحسن بن عليّ** " الذي وصل الى مصر ومنها إلى أقصى المغرب . وهناك أعلن أنه من سلالة النبى ، فأسرع البربر (السكان المحليين) بالالتفاف حوله غير أن جيش أنصار الخليفة العباسى تمكن من هزيمته ، ولكن ابنه **إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن علي** " تمكن من جمع أهل المغرب

---

١ تنسب إلى مؤسسها عبد الله بن إباض التميمي (نسبه إلى إباض وهي قرية العارض باليمامة بالسعودية).

من حوله ، وما أسرع ما بايعوه ، ولم يجد صعوبة في قيادتهم والاستيلاء على الإقليم جميعه ، والقضاء على أي أثر للنفوذ العباسي فيه ، واتخذ **فاس** عاصمة له ، وأقام دولة هناك نسبت إليه فعُرفت بدولة الأدارسة . وهي نموذج للدولة المعادية للدولة العباسية ، وهي أول دولة شيعية تظهر في التاريخ ، على أنّ تشيعها لم يكن يتجاوز ــ في ذلك الوقت ــ حب آل بيت رسول الله (ﷺ) والولاء لهم . وهي صفة يشترك فيها السنة والشيعة معًا ، وإن بالغ فيها أهل التشيع .

لم يكن تشيع هذه الدولة ينال من حقيقة الإسلام الصافية شيئا . ولهذا أحبها أهل السنة وانتصرت بهم ، وكانت القبائل البربرية السنية في المغرب حاميتهم وعماد دولتهم ، ولهذا عاشت دولة الأدارسة نحوًا من قرنين من الزمان . وانتهت ــ كنهاية دولة " الأغالبة " في تونس ، على يد الفاطميين سنة ٣٦٤هـ/ ٩٧٥م بعد أن أدت دورًا حضاريًا رائعًا في المغرب الإسلامي ، إذ انتشر بهم الإسلام في المغرب بين البربر ، وأسّسوا " **جامع القرويين** " عام ٨٥٧ م ، الذي كان منارة للثقافة الإسلامية ، وكان في المغرب كالأزهر في المشرق .

(٣) دولة الأغالبة (١٨٤ ــ ٢٩٦ هـ / ٨٠٠ ـ ٩٠٩ م) :

عندما تولى " هارون الرشيد " الخلافة العباسية (١٧٠ – ١٩٣ هـ) أراد أن يوقف نفوذ الأدارسة وتقدمهم ، فاختار صديقًا له يدعى " **ابن الأغلب** " وولاه على القيروان (تونس) . وأفهمه أن مهمته الأولى هي : إيقاف " الأدارسة " عند حدهم . واستطاع إبراهيم بن الأغلب بعد أن وصل إلى " القيروان " ، وبعد مناوشات بين الطرفين اقترحوا عليه ألا يعتدي أحد الطرفين على الآخر ، وأن يبقى كل في إقليمه . فقبل " ابن الأغلب " . وهكذا ؛ استطاع " ابن الأغلب " أن يوقف زحف الأدارسة العلوية ، وأن يقي الدولة العباسية شر غزوات البربر والإغارة على الأقاليم الشرقية للدولة العباسية ، وحقق إبراهيم بن الأغلب للرشيد ما أراد .. ولكنه طمع في الإقليم واستقل به ..!!!

وكانت هذه الدويلة تمثل الدويلات ذات العلاقة الاسمية بالدولة العباسية بخلاف دولة الادارسة التي كانت معادية للخلافة العباسية . وعلى الرغم من استقلال " ابن الأغلب " بهذه الدويلة إلا انه ظل على علاقة بالخلافة العباسية ، فهو يذكر اسم الخليفة في خطبة الجمعة ، ويضع اسمه على العملة ، ولكن فيما عدا هذين الأمرين فليس للخليفة العباسي أي نفوذ على دولة الاغالبة . فهم يتوارثونها أبا عن جد ، ويتصرفون في أمورها كما يشاءون دون رقيب .

ولما قويت شوكة الأغالبة بدءوا التوسع ، ولكن الأدارسة حدّوا من توسعهم غربًا ، والصحراء حدتهم جنوبًا ، والعباسيون شرقا ، فلم يبقَ لهم سوى الاتجاه شمالا حيث البحر ..!!! فأنشأوا أسطولا ضخمًا ، بنوه في سنوات معدودات ، وبدأوا جهادهم ضد الصليبيين بقيادة " **أسد بن الفرات** " في البحر الأبيض المتوسط . فضموا جزيرة " صقلية " إليهم بعد أن تم لهم القضاء على مقاومة الرومان من أهل الجزيرة وحكامها . ثم استولوا على جزر " مالطة " و " صقلية " (٢١٢ هـ) و " سردينيا " ونزلوا بعد ذلك في كثير من السواحل الأوربية ، وبخاصة سواحل ايطاليـا الجنوبية والغربية ، والسواحل الجنوبية لفرنسا ، وقد استطاعوا في بعض هذه السواحل إقامة حاميات وحصون دائمة ، وإن لم يستطيعوا التوغل في بعض هذه البلاد والاستيلاء عليها من أيدى أهلها .

وترجع قيمة هذه الجزر والسواحل الضيقة ، في كونها جسرًا عبرت عليه الحضارة الإسلامية إلى أوربا في زمن كانت فيه أوربا في ظلام حالك . كما أن السيطرة على هذه الجزر كان يؤمن التجارة الإسلامية في غرب البحر المتوسط وكانت الثقافة الإسلامية الضوء الوحيد في العالم الذى أنار وجه الأرض حينذاك .

وهكذا ؛ عاش " الأغالبة " أكثر من قرن من الزمان من سنة ٨٠٠ م إلى سنة ٩٠٩ م ، يحكمون تونس وملحقاتها ، ويحكمون صقلية ، ويفرضون هيبتهم على الدول الأوربية . وقد ازدهرت الحياة الاقتصادية والعمرانية في تونس على عهدهم ، ولعبت مساجدهم في تونس دورًا كبيرا في دعم الحضارة الإسلامية ، **وكان جامع الزيتونة جامعة إسلامية عظيمة** . وقد انتهت دولة الأغالبة على يد الفاطميين يوم أن دخلوا القيروان فاتحين .

* * * * * * * * * * * * * * *

ثالثا : الدول في بلاد الشرق :

(١) الدولة الطاهرية (٢٠٥ ـ ٢٥٩ هـ / ٨٢١ ـ ٨٧٣ م) :

قامت هذه الدولة في خراسان (إيران وأفغانستان) ، وقد أسسها طاهر بن الحسين أحد كبار قواد الجيش في عهد الخليفه المأمون (في أوج قوة الخلافة العباسية) . فكما رأينا ـ في الفصل الخامس ـ أن أبا مسلم الخراساني كان ممن لهم الفضل الأكبر في قيام الخلافة العباسية

ومع ذلك فقد قتله الخليفة أبو جعفر المنصور (الخليفة العباسي الثاني بعد السفاح) .. لذا كان لدى بعض الخلفاء العباسيين الرغبة في استرضاء الخراسانيين باعتبار أنهم أصحاب فضل على الدولة العباسية .

وفي عصر الخليفة المأمون ، كان طاهر بن الحسين وابنه عبد الله من كبار رجال الدولة في خراسان وخيرة قادتها ، في الوقت الذي بدأ فيه الصراع بين الأمين والمأمون . ووقف طاهر بن الحسين إلى جوار المأمون في كثير من المواقف الحرجة ، حتى تمكن المأمون من قتل أخيه الأمين واعتلاء عرش الخلافة . ولم يمرّ إلا عامان حتى قطع " طاهر بن الحسين " الدعاء في الخطبة للمأمون (في سنة ٢٠٧ هـ / ٨٢٣ م) ، وكان قطع الدعاء يعني الاستقلال عن الخلافة . ويموت طاهر في العام نفسه ويتولى ابنه " طلحة " بعد أبيه بأمر من الخليفة المأمون . ويستمر " طلحة " على نهج أبيه " طاهر بن الحسين " ، فيظل الطاهريون يحكمون خراسان ، ولكنهم يتبعون الدولة العباسية تبعية اسمية فقط مما جعل الخلافة العباسية تلجأ إليهم تلتمس منهم المؤازرة والمساندة ضد الخارجين على سلطانهم .

لم يمنع الاستقلال الداخلي للدولة الطاهرية من ولائها للعباسيين ، بل ساعدوهم في كل ما واجهته الخلافة من فتن وثورات . فساعدوهم في إخماد ثورة **نصر بن شبث** في حلب سنة ٢٠٩ هـ . كما ساعدوهم في إخماد الفتنة التي وقعت في **طبرستان** في عهد الخليفة أبي إسحاق **المعتصم بالله** . وظل هذا الحال قائما حتى جاءت سنة ٢٥٩ هـ / ٨٧٣ م ، التي استطاع فيها يعقوب الصفار أن يقيم دولته على أنقاض دولة الطاهريين .

(٢) الدولة الصفارية (٢٥٤ ـ ٢٩٠ هـ / ٨٦٨ ـ ٩٠٣ م) :

قضى " **يعقوب بن الليث الصفار** " على الدولة الطاهرية ، وأقام دولته على أنقاضها . وقد لقب بهذا اللقب لأنه كان في بداية أمره يحترف صناعة النحاس الأصفر بـ " **سجستان** " (القسم الغربي من أفغانستان وبعض ايران) ، ثم اشتهر بالفروسية ، فتطوع لقتال الخوارج في سجستان معلنا ولاءه للخليفة المعتز ، ومظهرا شجاعة خارقة في قتال الخوارج حتى سيطر على سجستان ، ثم توجه ـ بعد ذلك ـ الى " كرمان " ، وبسط نفوذه عليها ، ومن بعدها توجه الى فارس (ايران) فأخذها بعد قتال عنيف مع عريمه " على بن الحسين " الذي وقع أسيرا جريحا في يده . ولم يكتف بهذا ، بل توجه الى خراسان ، وحاصر العاصمة " نيسابور " ودخلها سنة

٢٥٩ هـ / ٨٧٣ م ، وقبض على جميع الطاهريين بها ، واستولى على البلاد التى كان يحكمها الطاهريون .

ثم توجه إلى " طَبَرستَان " فدخلها سنة ٢٦٠ هـ /٨٧٤ م ، وهزم صاحبها " الحسن ابن زيد العلوي " ، كما استولى على الأهواز وتقدم إلى بغداد فأدرك الخليفة العباسي " المعتمد " خطورته ، فأمر بأن يجهز جيشا بقيادة أخيه " الموفق " لمواجهة " يعقوب " فى عام ٢٦٢ هـ / ٨٧٦ م . وتمكن " الموفق " أن يهزمه ، ولكن " المعتمد " رأى الاحتفاظ بولاء " يعقوب " للخلافة ، فمثله يمكن الاعتماد عليه فى مواجهة الثورات والانتفاضات ، فبعث إليه يستميله ويسترضيه ، ويقلده أعمال فارس وغيرها مما هو تحت يديه ، ويصل رسول الخليفة إليه ، وهو فى مرض الموت ، ولكن بعد أن كَوّنَ دولة ، وبسط سلطانه عليها .

ويُظهر أخو يعقوب " **عمرو بن الليث الصفار** " من بعده ولاءَهُ للخليفة ، فيوليه الخليفة خراسان ، وفارس ، وأصبهان ، وسجستان ، والسند (باكستان) ، وكرمان ، والشرطة ببغداد وكان "عمرو" كأخيه ذا أطماع واسعة . فاتجه بنظره إلى إقليم ما وراء النهر الذى كان يحكمه السامانيون ، فكتب إلى الخليفة " المعتضد " ليساعده على تملك هذا الإقليم ، ولكنْ هزمه السامانيون هزيمة ساحقة ووقع أسيرًا فى أيديهم ، وأرسل به إلى بغداد ليقضى عليه فيقتل سنة ٢٨٩ هـ / ٩٠٢ م . ولم تكد تمر ثمان سنوات حتى كان السامانيون قد قضوا نهائيا على الصفاريين واستولوا على أملاكهم ..

(٣) الدولة السامانية (٢٦٦ – ٣٨٩ هـ / ٨٨٠ - ٩٩٩ م) :

تنتمى الدولة السامانية إلى " **نصر بن أحمد السامانى** " الذى ولاه الخليفة " **المعتمد** " على **ما وراء النهر** سنة ٢٦١ هـ ، كما ولى أخاه " **إسماعيل السامانى** " على بخارى . ولما مات نصر السامانى في عام ٢٧٩ هـ / ٨٩٣ م ، قام أخوه إسماعيل مقامه فى بلاد ما وراء النهر فوطّد أمرها ، وثبت قواعدها ، وقام بحملة عسكرية ضد البلاد المجاورة ؛ لأنهم كانوا يهاجمون المناطق الإسلامية من حين إلى آخر ، وقد نتج عن هذه الحملة انتصاره فى هذه الحروب ، ودخول كبار قادة هذه البلاد فى الإسلام ، وتبعتهم فى ذلك الجماهير التابعة لهم .

وفى عهد إسماعيل ، تم القضاء على الدولة الصفارية ، وامتد نفوذه إلى خراسان ، واستولى على طبرستان بعد أن انتصر على واليها العلوى " محمد بن زيد " عام ٢٨٧ هـ / ٩٠٠ م ،

وصرعه في أثناء القتال . كما تمكن إسماعيل بعد ذلك من ضم الري وقزوين إلى حوزته وتحت سيطرته .

وتوارثت الأجيال السامانية الولاية بعد إسماعيل السامانى حتى سنة ٣٨٩هـ/ ٩٩٩م ؛ حيث سقطت الدولة السامانية بسبب الأطماع والخلافات ؛ مما أطمع القواد والعمال في الخروج على الحاكمين من السامانيين .

(٤) الدولة الغزنوية (٣٥١ – ٥٨٢ هـ / ٩٦٢ - ١١٨٦ م) :

قامت هذه الدولة بزعامة القائد التركي (ألب تكين) وكان مولاه منصور بن نوح السامانى ملك خراسان قد ولاه سنة ٣٥١ هـ اميرا على سجستان . فاستقل بها وأقام فيها دولة واتخذ (غزنة) عاصمة لها فعرفت بالدولة الغزنوية . وقد تعاقب عليها واحد وعشرون ملكا كان أشهرهم **المجاهد الكبير محمود بن سبكتكين المعروف باسم " محمود الغزنوي "** ، والذي زادت حملاته على بلاد الهند في الفترة من (٣٩٢ – ٤١٦ هـ / ١٠٠٢ – ١٠٢٥ م) على اثنى عشرة حملة . وقد ضم الغزنوي أجزاء جديدة إلى بلاد الإسلام . وعمل على نشر هذا الدين بين أهل الهند . ثم انقضى عهد الدولة الغزنوية باستيلاء الدولة الغورية عليها سنة ٥٨٢ هـ في عهد اخر ملوكها تاج الدولة خسرو .

(٥) الدولة البويهية (٣٢٢ – ٤٣٦ هـ / ٩٣٤ – ١٠٤٥ م)

الدولة البويهية (٣٢٢ – ٤٣٦ هـ) : أصل البويهيين من الديلم ، وهي قبائل مقاتلة كانت تسكن الشمال الغربي من ايران في المنطقة التي كانت تعرف بالجبال . وكانت الدعوة الشيعية وصلت مناطقهم بتأثير جيرانهم من طبرستان ، فكان التشيع الزيدي مذهب البويهيين . وفي سنة (٣٣٣ هـ) **طلب قواد بغداد** من أحمد بن بويه السير إليهم والاستيلاء على مدينتهم ؛ فسار نحوهم واستقبله **الخليفة العباسي المستكفي بالله** وأكرمه ولقبه : معز الدولة . ولقب أخاه عليا عماد الدولة ، ولقب الحسن أخوه الثاني بركن الدولة . وبذلك اصبح لكل من هؤلاء الأخوة الثلاثة منطقة يسيطر عليها ويتعاقب أبناؤه واحفاده على حكمها . وخضع خلفاء بني العباس حينا من الزمن لبني بويه ، واصبح مصير العالم الإسلامي مرتبطا بهؤلاء السلاطين الجدد . ولم يبق للخلفاء معهم نفوذ ولا سلطان ، وذهبت هيبة الخلافة طيلة هذا العهد ، ومن هؤلاء الخلفاء المستكفي (٣٣٣ – ٣٣٤ هـ) ، والمطيع (٣٣٤ – ٣٦٣ هـ) ، والقادر

(٣٨١ – ٤٢٢ هـ) ، والقائم بأمر الله (٤٢٢ – ٤٦٧ هـ) وقد عاصر آخر عهد البويهين ومطلع عهد السلاجقة .

(٦) دولة السلاجقة (٤٢٩ – ٥٩٠ هـ / ١٠٣٨ ـ ١١٩٤ م)

السلاجقة هم مجموعة من القبائل التركية التي هاجرت من تركستان الشرقية بغرب الصين في محاولة للاستقرار في بلاد ما وراء النهر وخراسان ، وتُنسب هذه القبائل إلى " **سلجوق بن دقاق** " الذي جمعها ووحَّدها تحت رئاسته . نزل السلاجقة بالقرب من السامانيين والغزنويين ؛ **ودخلوا في الإسلام** . ولما قام النزاع بين الدولتين وقف السلاجقة إلى جوار السامانيين ، وساعدوهم ضد الغزنويين ، فكافأهم السامانيون على ذلك بأن أسكنوهم في جزء من أراضيهم بالقرب من نهر سيحون .

وفي سنة (٣٨٩ هـ) سقطت الدولة السامانية بعد معارك طويلة مع الغزنويين ، فأتاح هذا الفرصة للسلاجقة كي يستقلوا بما تحت أيديهم من أملاك الدولة المنهارة . وبعد وفاة سلجوق تولى مكانه ابنه إسرائيل ، إلا أن السلطان محمودا الغزنوي خشي من تنامي قوة السلاجقة فاستدعى إسرائيل ثم قبض عليه وقتله ، ثم هجم على السلاجقة وشتَّت شملهم في سنة (٤١٨هـ) وكانوا بقيادة ميكائيل أخي إسرائيل . وبعد وفاة السلطان محمود الغزنوي تمكن السلاجقة بقيادة ابني ميكائيل (جعفر بك وطغرل بك) من تحقيق نصر عسكري على الغزنويين في معركة سرخس سنة (٤٢٩ هـ) ، وفي العام نفسه أعلن طغرل بك قيام دولة السلاجقة بعد انتصارهم على الغزنويين .

وفي سنة (٤٣٢ هـ) اعترف الخليفة العباسي رسميا بدولة السلاجقة ، وبدأ اتساع الدولة السلجوقية فاستولى طغرل بك على نيسابور ، وأرسل أخاه جعفر بك فاستولى على خراسان ، ثم تمكن طغرل بك من دخول جرجان وطبرستان . وفي سنة (٤٤٢ هـ) حاصر أصفهان ، وتمكن من دخولها ثم جعلها قاعدة لدولته .

وبينما كان نفوذ السلاجقة في ازدياد دائم كان البويهيون الذين يسيطرون على دولة الخلافة العباسية في طريقهم الى السقوط ، واتيحت الفرصة للسلاجقة كي يستولوا على مركز البويهيين عندما استنجد بهم الخليفة العباسي القائم بأمر الله (تولى الخلافة من ٤٢٢ – ٤٦٧ هـ) لمواجهة طغيان البساسيري أحد قواد بني البويه الذي طغى حتى خافه الناس ، وكان شيعيًا فاسد

المذهب ، فاستجاب طغرل بك للخليفة العباسي واستأذنه في دخول بغداد فأذن له بدخولها سنة (٤٤٧ هـ) . وهذا العام يعد بداية سيطرة السلاجقة على مركز الخلافة العباسية في بغداد .

وفي سنة (٤٥٥ هـ = ١٠٦٣م) تولى **ألب أرسلان** حكم دولة السلاجقة خلفا لعمه طغرل بك الذي أسس الدولة ومد سلطانها تحت بصره حتى غدت أكبر قوة في العالم الإسلامي ، وقضى ألب أرسلان السنوات الأولى من حكمه في المحافظة على ممتلكات دولته وتوسيع رقعتها ، وتأمين حدودها من غارات الروم .

وفي أواخر ذي القعدة سنة ٤٦٣ هـ (١٠٧١ هـ) توجه " **إمبراطور الروم رومانوس** " بجموع كبيرة نحو أذربيجان للقضاء على توسع السلاجقة ، وتلقاه السلطان السلجوقي " **ألب أرسلان** " ودارت بين الفريقين معركة كبيرة انتصر فيها المسلمون على الروم على الرغم من قلة عدد المسلمين ، وهي معركة من أعظم المعارك في التاريخ الإسلامي وعرفت باسم : " **ملازكرد** " سنة (٤٦٣ هـ) . وفي عام (٤٨٢ هـ) ضم السلاجقة إليهم بخارى ، وسمرقند ، وبلاد ما وراء النهر كلها . وقد ساهم السلاجقة في سنة (٥٠٧ هـ) في صد الصليبيين عندما أرسل السلطان محمد بن ملكشاه جيشا كثيفا لمواجهة الصليبيين بقيادة الأمير مودود امير الموصل ، واستطاع المسلمون تحقيق نصر عسكري عند طبرية .

وقد استمرت سيطرة دولة السلاجقة على الخلافة العباسية حتى سقطت سنة (٥٩٠ هـ) بعد أن أخذ السلاجقة بنظام الإقطاعيات ، وهو توزيع إقطاع لكل أمير مقابل قيامه بواجبه العسكري في التصدي لأعداء الدولة . ونتيجة لهذا قام صراع طويل بين هؤلاء الأمراء الذين تنازعوا على الأرض والسلطنة ، وحاول كل واحد منهم أن يكوّن من إقطاعه إمارة مستقلة ، مما أدى إلى تفتت الدولة وتمزقها تمهيدا لسقوطها في سنة (٥٩٠ هـ) .

ومن أهم إنجازات السلاجقة أنهم قدموا خدمات جليلة لدولة الخلافة العباسية وحموها من كثير من الضربات التي وجهت إليها من البويهيين الشيعة ، أو من بعض الحركات الهدامة مثل الزنج والقرامطة (أنظر الملحق الثاني) . كما أن توسع السلاجقة في آسيا الوسطى وخاصة في أرمينيا وأذربيجان ادى إلى وقف أطماع الروم في أراضي المسلمين ، يضاف الى ذلك انتصارهم على الروم في معركة ملازكرد .

ومن الإنجازات الحضارية التي تميز بها السلاجقة النهضة العلمية التي نظمها الوزير نظام الملك من خلال بناء العديد من المدارس التي سميت باسم المدارس النظامية ، ولا زالت بعض بقايا المدارس النظامية موجودة حتى الآن في بغداد .

* * * * * * * * * * * *